A. U. B. LIBRARY

لبنان في العالم

طبع من هذا الكتاب ٣٠٠٠ نسخة على ورق اعتيادي
و ٢٠ نسخة على ورق « هولزفوري »
مرقمة من ١ الى ٢٠

الطبعة الاولى ، ١٩٤٣

جميع الحقوق محفوظة

325.2569
M94LA
c.2

جورج معشّق

لبنانُ في العالم

(ج ١)

اللبنانيون في كولومبيا وأبناؤهم
من لطوف إلى طربيه ، أمثلة وعبر

Cat. Dec. 1948.
68162

مشاكل اليوم

دار المكشوف ، بيروت

تنبيـــه

القى المؤلف المحاضرة التي تضمها صفحات هـذا الكتيب :

في نادي الشبيبة الكاثوليكية (بيروت) في اول حزيران ١٩٤٣ .

وفي جونيه في ١٧ حزيران ١٩٤٣ .

اما القسم المتعلق بجبرائيل طربيه منها فقد القاه :

في نادي المهاجرين (بيروت) في ٢٨ كانون الثاني ١٩٤٣ .

وفي جونيه في ٣١ كانون الثاني ١٩٤٣ .

وفي مدرسة عينطوره (كسروان) في ٩ شباط سنة ١٩٤٣ .

توطئة

ان كولومبيا الواقعة في الطرف الشمالي الغربي من اميركا الجنوبية هي احدى الجمهوريات اللاتينية الخمس التي اعتقها من النير الاسباني المحرر سيمون بوليفار ، الزعيم السياسي والعسكري الخالد . ففي بادىء الامر ، اي في العام ١٨١٠ ، تولى القائد الفنزويلي فرانسيسكو ميراندا حركة الجهاد في سبيل التحرر ملتهبةً بنَفَس الحرية العظيم الآتي من فرنسا . وكان هذا القرم العنيد قد احرز اكاليل المجد في اسبانيا ، وفي الولايات المتحدة بقيادة روشامبو ، وفي فرنسا بقيادة الجنرال ديموريه اذ خدم الجيوش الفرنسية في ظل الجمهورية الناشئة . ولما وقعْ في الاسر امتشق بوليفار السيف وكانت خطته من الوجهة الاقتصادية تتجاوز حدَّ التهوّر الى الجنون . سوى ان الايمان الوطني الذي ألهب قلب المحرر بوليفار يقيم

أودية ويوطىء جبالاً ويتمّ عجائب . وواصل الجهاد بدون هوادة وبعزم راسخ ، بايمان وطني وقوة جارفة لم يَقوَ عليها التواني ، ولا التمرد ، ولا الشكوك ، ولا الخيانات المتتابعة ، ولا الانكسارات المتكررة . وكان بوليفار محاطاً بهالة من الزعماء ما تزال اسماؤهم موضع الاحترام كريكورت ، ونارينيو الباسل ، وسوكر الطاهر الذيل ، وسانتاندر القانوني ، وبرهط من الفرنسيين كسوبليت وجيراردو وسواهما ، فشهرَ معارك طاحنة اسفرت عن انتصارات كبرى ، وخلص الى سحق الاسبانيين نهائياً في اياكوشو ، وذلك في شهر كانون الاول من العام ١٨٢٤ ، والى تحرير كولومبيا وفنزويلا والاكواتور وبوليفيا والبيرو دفعة واحدة .

وكولومبيا تتمتع برقي عظيم من الوجهة السياسية ، فدستورها موضوع على مثال دستور الولايات المتحدة : رئيس جمهوريتها ينتخب لمدة اربع سنوات وعن طريق الاقتراع المباشر ، وهو بنفسه يعين وزراءه فهم مسؤولون تجاهه

المحيط الاطلسى
فنزويلا
بوغوتا
كولومبيا
الغينه
الاكواتور
البرازيل
البيرو
اميركا الجنوبية
المحيط الباسيفيكى

ومكلفون تطبيق سياسته . وقد مر على كولومبيا اكثر من اربعين سنة لم تعرف خلالها حرباً اهلية -- وهذا الامر لا يقع في اميركا الجنوبية الا في النادر القليل — فهي تعمل في ظل الهدوء والطمأنينة وتحرز نجاحاً عظيماً في جميع مرافق العمل .

وهذه البلاد تعرض حتى لأقل الناس ذكاء وادراكاً أقوى مثل للوطنية وللآداب العامة التي بلغت من النمو شأواً بعيداً . والى جنب ما نرى من تعاقب المشاهد المؤلمة لطبقةٍ من المواطنين لا تنفك تشاغب للتملص من التدابير القانونية لانتهاك حرمتها او لتحويلها الى مصالحها — تجمع كولومبيا على احترامٍ عميق للقانون ، المنبثق الاعظم من ارادة الامة ، وتكنّ شعوراً بالاباء الوطني وبالكرامة الوطنية لا يخلو من العظمة . وليس ارديا القصد والزائغون عن المناهج القويمة ، اولئك الذين ارتكبوا السرقات وتاجروا بالمصلحة العامة ، بالاشخاص الوحيدين الذين تتناولهم العقوبة وتسقط رعايتهم الى الابد في نظر مواطنيهم ، بل يُقصى ايضاً عن كراسي الحكم

اولئك الذين لم يسلكوا كل الجدارة المطلوبة في القيام باعباء المناصب العليا التي عهد بها اليهم ، وان لم يأتوا عملا شائناً ولم ينغمسوا في صفقات ملتوية زوراء .

اما موقعها الجغرافي فجدير بالاعجاب ، فسواحلها الممتدة على مسافة مئات من الكيلومترات تعطيها منفذاً على المحيطين الاطلنطي والهادىء . وتعمر عدة سلاسل جبلية مساحة كبيرة من ارضها فتلطّف فيها قساوة الجو الاستوائي ، وتقوم حاضرتها بوغوتا على علو ٢٦٧٠ متراً فيسودها من جراء ذلك ربيع دائم . وفيما الثلوج تكسو على ممر السنة قمماً كثيرة من الكورديير اذا حمّارة القيظ تحتل السهول على ممر السنة .

وكولومبيا بلاد زراعية وماشية على الخصوص ، فهي تنتج بناً لذيذاً وتصدّر الى الولايات المتحدة مقادير كبيرة من الموز ، والى اوروبا انواعاً فاخرة من الجلود . وهي الى ذلك بلاد معادن على جانب كبير من الغنى ، فهي تصدر ذهباً وفضة وبلاتين وزمرداً ثميناً . ومنذ سنوات باشرت فيها شركات

انكليزية واميركانية استثمار منابع بترول على جانب كبير من الاهمية .

وللتجارة والصناعة ازدهار عظيم في كولومبيا ، ولم يمر على انطلاق الصناعة فيهـا اكثر من اثنتي عشرة سنة . ولا يزال ثمة مجال كبير للعمل في جميع المرافق . ومما يجدر هنا بالذكر ان كولومبيا التي يبلغ عدد سكانها تسعة ملايين وستمائة الف نسمة ، وتبلغ مساحتها مليونا ومئتين وثمانية واربعين كيلومتراً مربعاً ، تعد سبعة سكان لكل كيلومتر .

وليستطاع القول بكل تأكيد ان كولومبيا — بفضل مركزها الممتاز ، وخصب تربتها وغنى مناجمها ، وما لم يستثمر بعد من بقاعها الواسعة ، وبفضل ما يتصف به ابناؤها من الدراية والوطنية — مـدعوة لان تشغل مركزاً خطيراً وتمثل دوراً عظيما في عالم الغد الجديد .

تموز ١٩٤٣ جورج معشي

لبنان في العالم

نحن اليوم نعيش ساعات مثقلة باحداث المستقبل، فمصائرنا تنصهر في بوتقة الايام الفاجعة التي تمر بنا . أفلم يحن الوقت لوضع بيان عن وسائلنا وامكانياتنا، عن عيوبنا ومزايانا ، عما نحن فيه اليوم وعما كنا فيه امس ، وعما قام به اللبنانيون في هذا البلد وفي سواه ؟

اعرف نفسك . تلك كانت نصيحة الاقدمين .

ولا نزاع في ان مواطنينا لا يجهلون ان بين اللبنانيين المنتشرين في كل مكان من العالم الواسع الارجاء رجالاً يتصفون بمزايا نادرة المثال ، جنوا أعلى المراتب وأدركوا احسن الغنائم . ولكن أترُاهم يعرفون بفضل أيّ ظروف تمكن مهاجرونا

من قطع الدليـل على مقدرتهم في جميع فروع النشاط ؟ وبفضـل ايّ جوّ أدبي وسياسي تمكن ابنـاؤهم ، فيما هم يعملون على تكوين شخصيتهم وانمائها ، ان يخلعوا على الارض التي شهدت مولدهم من الشرف والرونق مقدار ما يخلعون عـلى ارض آبائهم ؟ أتراهم يعرفون بالتفصيل مـا يقومون به من الوان الكفاح وما يبذلونه من الجهود ومـا يدركونه من انواع النجاح وما يعقدونه من الآمال ؟ ففي درس حياة هؤلاء الابناء الذين يمتّون الينا بقربى العرق قيامٌ بعمل وطني جليل ، ليس لمـا يصدر عن هذا الدرس من تعدّد العظات فحسب ، بل لما يوقظ في النفوس من الهمم ، وما يحيي فيها من الآمال ، وللقوة التي يسبغهـا على الوطن في نهضته .

هذا الشعور هو الذي يدفعني لان احدثكم

اليوم عن لبناني كولومبيا اولاً وعن بعضٍ من ابنائهم الذين عرفتهم وعاشرتهم طوال سنوات ، والذين ستساهم سيماؤهم المتنوعة في تعيين الوجه الحقيقي للبنان في يومنا هذا ، ثم احدثكم عن جبرائيل طربيه فآتي على الحياة الحرفية المتقدة التي سلكها ابن صنّين ، هذا الذي شاءت اهواء القدر ان يولد في خط الاستواء لاربعين خلت من السنين ونتعاون اخيراً على استخلاص الدروس الناتجة حتماً عن هذا القدْر من المُثُل الرائعة .

اللبناني في كولومبيا

هوذا نحن في كولومبيا ، البلد العزيز على قلبي لأني اقمت به سنوات طويلة شاقة وطيّبة .

فأول ما لا بد من التفكّر فيه ، بعد القاء نظرة سريعة على مهاجرينا ، ان اللبناني في كولومبيا كما في كل مكان من بلاد المهجر ، يمتاز بهمته في العمل وبمروءته ومثابرته على اتمام عمله . فرأس ماله هذا — الكد والجد — هو الذي يسهّل له السبيل الى اكتساب الثقة والاعتبار اللذين لا نجاح بدونهما في تلك البلدان الجديدة عبر المحيط . وهكذا ، بالصبر والجد وبتذليل جملة عراقيل وجميع المصاعب التي اعترضته في البداية ، يتمكن من ادّخار ثروة ضئيلة ينطلق بها في مشاريع واسعة

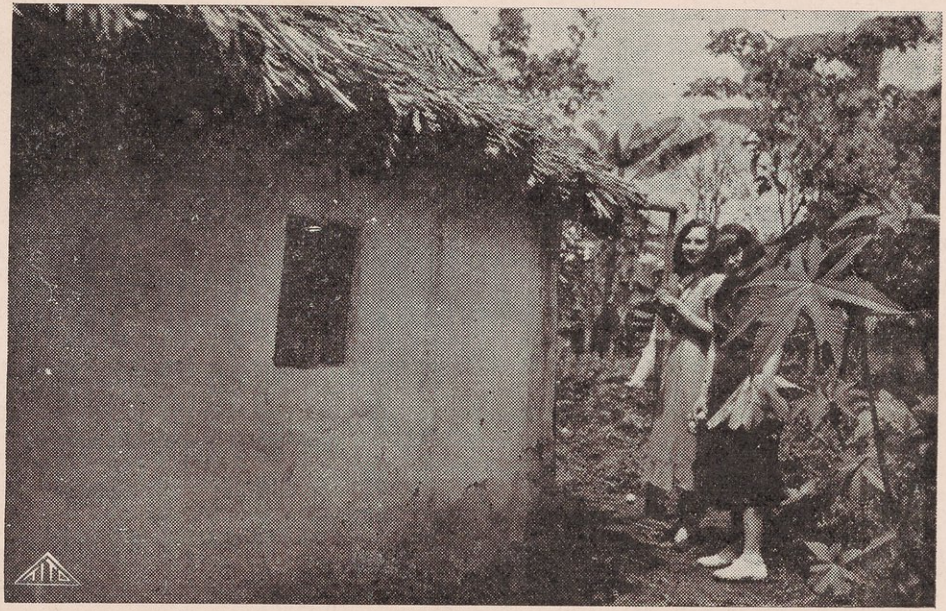

القرية الكولومبية

النطاق بذلك الميل الى المخاطرة الذي اختص بنا وعُرفنا به .

وانها لحرية بالاعجاب قدرته على التطبع بطباع الآخرين وتلك السهولة التي يعتمد بها نسقاً في الحياة يختلف احياناً عن نسقنا اختلافاً كبيراً . على ان هذا لا يلطّف في شيء من شدة حنينه الى لبناننا الفريد ، هذا الحنين الذي تشب له في اعمق اعماق المهاجرين نار لا تنطفىء .

وليس صحيحاً ما يأخذه علينا بعضهم ظلماً من ان معظم مهاجرينا قرويون سذّج لا يتّصفون بشيء من التهذيب والعلم ولا ينصرفون الى سوى المتاجرة . فنحن ان نكن نحسن التجارة فلأنها ارث في دمنا . ولكنّ في جاليتنا ، عدا التجار ، عدداً كبيراً من المزارعين والمربين والملتزمين

والصناعيين والمثقفين . وبين ابناء اللبنانيين الذين تجذبهم الحرف الحرّة والسياسة قضاة وحكام على جانب كبير من الفضل .

واللبناني حين يقطن الارياف لا يلبث — اذا كان على شيء من تذوق الجاه ومن الرغبة في ان لا ينطوي على نفسه — ان يتصل بشيخ البلد والكاهن وبسائر ممثلي السلطة . ويُرى في طليعة المقبلين على مدّ يد المساعدة الى مشاريع الاحسان او المصالح العامة . وتصبح داره مفتوحة الابواب لكبار الزائرين الذين يمرّون بالناحية المجهولة التي اختار فيها موطناً لنفسه . وهو اذا كان على شيء من تذوق السياسة — هذه الآفة الملتصقة بالنسل ، أليس كذلك ؟ — لا يلبث ان يصبح مقرض نائب المنطقة وأعظم ناخبيه خطراً . وصفوة القول

ان هـذا الانسان البائس الذي وطىء اليابسة منذ اقـل من خمس سنوات او ست ، وهو لا يكاد يجمجم بضـع كلمات باللسان الاسباني ، اصبح شخصية لا نزاع في نفوذها . ذلك ان مادة القيم البشرية متوافرة في هذا الرجل المتحدر من اقـدم سلالات الانسان ، هـذا الرجل الذي يجري في عروقـه دم الشرق الساحر وبيزنطة العظيمة . ولا نبحث في سوى هـذا الميراث الغني عن سر تلك السهولة التي ينطلق بها مهاجرنا احياناً في حيـاة السرف والبذخ ، سالكا فيهـا طريقاً يتجاوز حدَّ موارده وطاقته . وكثيراً ما عجل هـذا الاسراف في تبذير ثروات جمعت طوال سنوات كدّ ونصب ، وسبَّب حوادث افلاس محزنة لم تكن بالحسبان .

وثمة تجانس عظيم يربط مواطنينـا بمضيفيهم

الكولومبيين المتصفين برقة القلب والتحمس وقوة التصور . هذا الى ان علائقنا على جانب كبير من المودة بدليل الزواج المختلط الذي يزداد تواتراً . واذا حصلت احياناً حوادث مؤسفة فمردّها على الغالب الى عواطف ليست من الكِبَر في شيء ، كالغيرة وحسد المزاحمين الذين يغلبهم على امرهم تجاه زبنهم اولئك الاجانبُ المهرة الذين يشيدون بناء الثروة على مرأى منهم ومشهد ، ويحاولون احياناً ان يثيروا عليهم حفيظة الدهماء وموجدتهم . على ان هذه الحوادث لا تقع لحسن الحظ الا في النادر القليل . وانه ليسرني ان اعلن اننا كنا دائماً نلقى من معتمدية فرنسا في بوغوتا اطيب مساعدة وانجع دعامة . ويسرني ايضاً اني بادرت مع بعض رفاقي من اعيان جالية بوغوتا مرتين متواليتين الى طلب مدالية الاستحقاق اللبناني من

حكومتنا — وقد نلنا هذا الطلب — لكل من السيد ادوار كلافيري والسيد الفرد بلانش ، الوزيرين المفوضين لفرنسا في عاصمة كولومبيا سابقاً ، فلم يكونا يكتفيان بالدفاع عن مصالحنا بغيرة ومحبة بل كانا يخصان كلّا منا باطيب حفاوة في بيت فرنسا .

بيد انه كلما دعت الظروف كنا نلقى من الصحافة الكولومبية ومن بعض كبار الموظفين ومن الصفوة المستنيرة ومن الحكومة نفسها اقوى واشد عضد . واني لاجد من واجبي ان اعلن ذلك تكريماً لهذا الشعب الذي ينطوي على عاطفتي العدل والحرية .

وفي العام ١٩٣٢ — ١٩٣٣ تم اجماع الرأي الكولومبي في صَدَد المساهمة الثمينة التي ادّاها

العنصر اللبناني الى الجامعة الوطنية . ففي ذلك الحين وقع اعتداء ذميم من ديكتاتور البيرو يومئذ على كولومبيا فهب اللبنانيون هبّة واحدة شأنهم كلما لُمِس موضعُ العاطفة منهم ليقطعوا لمضيفيهم الدليل على محبتهم واعترافهم بالجميل . واذا بمظاهر الولاء تقام في كل مكان يقطنه لبناني ، وفي كل مكان تجمع الاموال لتغذية الدفاع الوطني .

ومن أصدق عواطف الولاء اللبناني نحو كولومبيا أن بعض اللبنانيين لم يتمالك نفسه من التقدم بطلب التطوع في الجيش الكولومبي .

وكان ان هذا الحادث فسح السبيل الى اظهار المروءة اللبنانية بأجلى مظاهرها — أوَلا يحمل الينا بريد الولايات المتحدة في وقتنا الحاضر مثالا على ذلك كل يوم ؟ — فلم ينس الكولومبيون بعدُ ذكرى تلك المساهمة الجسيمة التي اديناها الى الجهد

الحربي الكولومبي . وامثال هذه البادرة تتكرر في احيان كثيرة . ففي العام ١٩٣٨ ، اي في الذكرى المئوية الرابعة لتأسيس مدينة بوغوتا ، صحّت عزيمة كلّ من الجاليات الاجنبية فيها على تقديم هدية الى الحاضرة . فكانت هدية اللبنانيين التي أوتيتُ شرف تقديمها الى المجلس البلدي عشية سفري مركزاً للاسعاف السريع من احدث طراز مجهزاً بمصلحة صحية دائمة . وهذه الهدية كانت اهم وأفيد بكثير من جميع الهدايا الاخرى لان المدينة كانت في امس الحاجة الى مثل هذه المؤسسة الصغيرة ، مع ان جاليتنا لم يكن بوسعها التشبه ببعض جاليات اخرى لا من جهة العدد ولا من جهة الوسائل .

وفي العام ١٩٣٣ لم يلبث فتون جبرائيل طربيه الذي اسند اليه رئيس الدولة رئاسة الحكومة وهو بعد في الواحدة والثلاثين من عمره ، أن انعكس

بعض الشيء علينا نحن اللبنانيين جميعاً .

ومنذ ذلك الحين صرنا نستطيع ان ننظر بعاطفة من الفخر الى ما اعطينا الشعب الكولومبي مقابل ضيافته .

وكم يبلغ عددنا في كولومبيا ؟ — ساحملكم على الاستغراب في الدهشة . فقد اعطى الاحصاء الذي اجرته مصالح الشرطة الادارية في العام ١٩٣٧ ارقاماً تافهة بالقياس الى سعة البلاد واهميتها وخاصة الى قوة الحركة التي خلقناها هناك . فاللبنانيون في اميركا — وفي معظم بلدان الهجرة ايضاً — يشبهون بعض الشبه عنزة السيد سيغن في الجبل . وكلكم يعرف تلك الصفحة الجميلة لالفونس دوده : كانت بلانشيت عنزة من غريزتها الاستقلال والعتق ، تحب فوق كل شيء الهواء الطلق والحرية

مركز الاسعاف السريع الذي اكتتبت الجالية اللبنانية في بوغوتا لبنائه
وقدمته الى العاصمة الكولومبية

فأضلّت يوماً راعيَها ووصلت لاهثة الى الحرج واذ لقيت فيه مرعىً خصيباً دبت فيها سكرة الفرح ، وراحت تتنقّل من رأس هضبة الى قعر وادٍ ، تارةً هنا وطوراً هناك ، حيناً في مرتفع وحيناً في منخفض ، حتى ليخيَّل الى من يراها ان للسيد سبعين عشر عنزات في الجبل .

فاللبنانيون الذين يجدون لاعمالهم ميداناً يستوي مع نشاطهم في بلد توافرت فيه وسائل لا يحصرها حدّ ويأتون جهوداً كبيرة في جميع مرافق العمل ، ولكثرة ما يبذلون من الشجاعة والكدّ وهم في المقدمة بكل مكان ، يخلقون لانفسهم في سنوات قليلة مركزاً ممتازاً يصبحون معه محط انظار الجميع حتى ليندر ان يمرَّ اسبوع من غير ان نقع في الصفحة الاقليمية من صحف الحاضرة على بادرة او على مأثرة للبناني . وهكذا كان يخيل الى

الكولومبيين والينا نحن انفسنا ان عدد جاليتنا لا يقل عن اربعين او خمسين الفاً في حين ان الارقام الرسمية لم تذكر اكثر من الف وثمانماية مهاجر .

ابناء اللبنانيين

وبديهي ان ثمة ايضاً ابنـاء اللبنانيين المولودين هناك . فهؤلاء الكولومبيون بحكم القانون يخضعون للواجبات نفسها التي يخضع لهـا الكولومبيون الاصليون ويتمتعون بالامتيازات نفسها التي يتمتع بهـا هؤلاء . ولكن اذا كان هؤلاء الفتيـان لا ينتسبون الى لبنـان بموجب سجـلات الاحوال الشخصية فذلك لا يمنع ان يكونوا مدعاة لعجبنـا وفخرنا واملنا . ويكفينا ان نتصفح حياتهم الطافحة بالنجاح او بالامل في النجاح لنتناول منها دروساً وعبراً . فبمولدهم في وسطٍ لا يُثقِلُ فيه عبءُ شقاقنا الحزبي ونزاعنا الداخلي ولا ما ورثنـاه من المزاعم الطائفيـة والحزبية ، وبتربيتهم على محبـة

الحرية ومحبة الوطن يتمكنون في كل مكان من بلوغ ما يطمحون اليه من الرفعة والجاه ، وذلك بفضل ذكاء هو ذكاؤنا نحن ايضاً .

والامثلة على ذلك اكثر من ان تحصى ، فالى جانب جبرائيل طربيه ، اجمل هذه الامثلة وارسخها جميعاً ، بضعةٌ أخرى أقلُّ شأناً ولكنها ليست أقلَّ مغزى .

ففي كل سنة ترسل الحكومة الكولومبية الى فرنسا خمسة وعشرين طالباً مجانياً ليتلقوا فيها دروساً عليا . وهؤلاء الخمسة والعشرون هم الرابحون الأوَل في المباريات المدرسية . ففي العام ١٩٣٨ كان من بين الخمسة والعشرين ستة او سبعة من الطلاب اللبنانيين والسوريين . وفي ذلك الحين كانت كولومبيا تعد تسعة ملايين وستمائة الف نسمة ليس فيهم من اللبنانيين والسوريين الا اربعة

آلاف ... فتأملوا !

ولقد عرفنا خمسة طلاب من اصل لبناني كانوا يتلقون دروس المعهد الطبي في بوغوتا ، وبين هؤلاء الخمسة اربعة كانوا محط اعجاب اساتذتهم ، وهم السادة كيوان ، وجبرائيل طربيه ، وجورج الحلو ، ونادر .

اما حنا يوسف طربيه ، اصغر اخوة جبرائيل سناً ، فحامٍ لامع استهوته السياسة فأنتخب نائباً عن مقاطعة « سانتاندر » باكثرية كبرى . وفي المجلس ظهرت موهبته ورسخت مكانته فكان يتكلم في معظم المناقشات وقد اودع عدة مشاريع قانونية وعين عضوا في جملة لجان . وصفوة القول كان محط رجاء البرلمان الكولومبي . وما هي الا ليلة وضحاها حتى شاع ان انتخاب حنا يوسف طربيه عضوا في المجلس قد الغي اذ اتضح لخصومه

السياسيين انه انتخب نائباً في الرابعة والعشرين من عمره ...

واما فيليب الخوري وهو من ابناء اللبنانيين فقد شاءت الظروف ان يصرف شطراً من شبابه في لبنان . ولما نال شهادة الحقوق من معهد ليون عاد الى كولومبيا وجرّب التجارة فلم يحرز نجاحاً كبيراً — وهذا الفشل التجاري يتّفق حتى للبناني ! — فانخرط في سلك القضاء وقطع فيه الدليل على خلق عظيم وعلى استقامة ونزاهة رائعتين . وكان اصدقاؤه يقولون عنه مازحين : ان فيليب قد لا يتردد في ارسال والده الى الحبس اذا عثر . ووالده رجل طيّب كخبز القرويّات اللبنانيات . واليكم جوابه لاحد اكابر الزعماء الاحرار ، وهو من شيوخ الجمهورية وصديق حميم لعائلته منذ اكثر من اربعين سنة فضلاً عن ان له يداً في ايصاله الى

المنصب الذي يشغله : فإذْ كان هذا الاخير يوصيه خيراً بموقوف من كبار المحرضين السياسيين متَّهم بمخالفة القانون اجابه الخوري : « ان احترامي لك كبير يا جنرال ، ولكني لا استطيع شيئاً في سبيل محميّك ، فنتيجة التحقيق وحدها تحكم عليه او تخلصه . » واذ جاءت نتيجة التحقيق مضادة فقد حكم على الموقوف وبأقصى عقوبة .

ان استقلال القضاة الكولومبيين مضرب المثل ، فاصغرهم يقاوم اعلى سلطة في الجمهورية . واليكم هذه النصيحة : اذا كنتم تحرصون على قضيةٍ ما في كولومبيا فاحذروا ان توّصوا بها قاضياً خشية ان تأتي توصيتكم بنتيجة معاكسة ... وليخيل اليّ ان قضاتنا يقولون في نفوسهم : « كم هو جميل ان يمارس المرء وظائفه في بلد كهذا ! »

وفي حين كان الخوري قاضياً في جيراردوت

عيّن في هذه الاخيرة يوليوس قيصر طربيه شيخ بلد ، وكان من ابناء اللبنانيين ومن مشايخ طربيه تنورين وفي الثالثة والعشرين من عمره ويدرج في عداد افضل افراد الشباب الجامعي في حزب الاحرار . وكان شقيقه نابوليون يشغل منصباً في امانة سر المجلة الرسمية لحزب المحافظين ، وشقيقه الثالث هنيبال يشغل مهام مفتش في السكك الحديدية . وفي ذلك الحين دار البحث حول تعيين لبناني آخر قائداً للدرك في مدينة جيراردوت الطيبة هذه . سوى ان بعض المواطنين تدخل لدى الحاكم الكولومبي راجياً اليه ان لا يفعل ، اذ كان من اللياقة مراعاة شعور السكان الاصليين وعدم المبالغة في الاستئثار بالاشياء الطيبة...

وفي السنة ١٩٣٩ كان امين السر العام لمعتمدية كولومبيا في باريس ومستشارها من اصل

لبناني مع العلم بان هذه المعتمدية لا تشتمل الا على ثلاثة من كبار الموظفين .

ان استمرار النسل بميزاته حقيقة لا نزاع فيها . أولا يذكرنا هذا كله بما قاله الشاعر الروماني جوفينال بشيء من المرارة وذلك لتسعة عشر قرنا خلت : « منذ زمن طويل ونهر العاصي السوري يصب في التيبر حاملاً لغته وآدابه ... » ؟

وفي اثناء الحرب التي نشبت في العام ١٩٣٢ كانت البيرو قد احتلت اقليم لتيسيا على نهر الامازون ، في الطرف الجنوبيّ من البلاد . وكانت الحكومة الكولومبية تجهد كل الجهد في طرد المجتاح من اراضيها لتغسل الاهانة التي وجهت الى علمها ، ولكنها لا تدري كيف تعمل لتوصل قواتها الى تلك الجهة النائية من ارض الوطن . فلا

طرق ولا خط حديدي وانما هناك بضعة انهر تصعب الملاحة فيها ولا يُعرف كيف يمكن الوصول اليها . وكانت المعلومات التي لدى حكومة بوغوتا تفيد ان الجيش يحتاج الى شهر على الاقل ليتمكن بعد مشاق جسيمة من الوصول الى هناك . فكيف السبيل الى حلّ هذا المعضل المربوط به سمعة البلاد ؟ وبعد بحث دقيق واستشارة كبار الملاكين في المنطقة ورد الجواب المنتظر وكان من احد اللبنانيين ، وكان جواباً موجزاً صائباً ، واقعياً . واذا برئيس الجمهورية الكولومبية يعين ابن تنورين هذا العائش منذ سنوات في البقاع العذراء مفوضاً للطرق طول زمن الحرب ، مسنداً اليه مهمة ايجاد اتصال برّي بين وسط البلاد وجنوبيها وشقّ ممر خلال الاحراج العذراء للجيش الزاحف للدفاع عن الحدود .

يوسف لطوف

غادر يوسف لطوف لبنانه الشمالي في العاشرة او الثانية عشرة من سنيه مدفوعاً مثلنا جميعاً بالميل الى المغامرة وقد استهوته تلك البقاع الذهبية التي تغرب فيها الشمس . ايه ايتها الرغبة الملحَّة في رود الاصقاع النائية ! ايها الميل الى معرفة المجهول ! ايها العطش الى الحياة حياةً جديدة تحت سماوات جديدة ، الى استبصار آفاق أخرى وتأمل وجوه اخرى — من تُراه لم يشعر بك في الساعة التي ينفذ فيها الى نفوسنا ، مع الظلال الصاعدة ، طمأنينة المساء وصفاؤه ؟ أوليس نداءُ المسافات هذا صوت الماضي ، بل بقية من الروح الفينيقية التي ما تبرح تمازج ارواحنا ؟

لماذا اختار لطوف كولومبيا ؟ — كما اختارها سواه ، فربما كان فيها قريب له او احد من بلده .

وماذا كان يحمل من المتاع الثقافي ؟ — ما كان بالامكان ان يحمله ، لخمسين سنة خلت ، اي فتى لبناني من عمره ومن عائلة وضيعة ولكن كريمة ، لم يتفق له ان خرج من حدود قريته .

وفي كولومبيا بقي لطوف سنوات طويلة يعيش عيشة منكمشة ، ولكن طموحه الذي يوازي ذكاءه — وما هذا بقليل — وسمو اخلاقه التي تنفر من المألوف الشائع كانا ينبئانه بان له ساعة ستحين ، فكان يعاين ويفكر ويقطع في كل سانحة الدليل على صدق واستقامة كبيرين .

وفي العام ١٩١٨ اتيح له ان يزور فرنسا . كان ذلك في الايام المشهودة اذ الجيوش الحليفة تغتصب بقيادة فوش وبحدّ السيف نصراً ما لبثت

المذاهب التفكيرية وكرم بعض الرؤساء ان جعلته زائلا . ثم عرف باريس ١٩١٩ وهي اشد إغواءً وسحراً منها في اي زمن . فقد كانت مستسلمة الى الافراح والى طمأنينة سلمٍ دُفع غالياً ثمنه ، وما تزال تهتز من ابواق الجيوش الظافرة وتدوّي فيها اصداء مناقشات فرسايل ، ويتخايل عليها شاربا كليمانصو المشعثان ، وفيها رؤساء الامم الظافرة يتدافعون بالمرافق . وصفوة القول ان باريس ما كانت مرة قلب العالم ودماغه كما كانت في ذلك العهد . ومنذ ذلك الحين صح عزم لطوف نهائياً على ان يأتي يوماً الى باريس العجيبة هذه فيتخذها موطناً دائماً له .

ولما عاد الى كولومبيا راح يضاعف الجهد لاجل هذا الغرض ، وبفضل علاقاته الطيبة بصفوة اهل الحاضرة استأجر مزرعة من اجمل مزارع البلد

وانصرف فيها الى تربية المواشي . وكان يعيش عيشة عظماء الاسياد فيستقبل اصدقاءه الكثيرين بما أثر عن الضيافة الشرقية من البسطة والسخاء . وكثيراً ما كان يضيفه رئيس الجمهورية وكل وزرائه ويصرفون عنده بضعة ايام . وبعد خمس او ست سنوات لم يحتج لطوف الى اكثر منها ليجمع ثروة سلك في استخدامها احسن سبيل ، عمد الى تصفية اشغاله ، وكان ذلك عشية سنة الازمة العالمية (١٩٢٩ ــ ١٩٣٠) ، وجاء الى باريس ليستوطنها نهائياً تحقيقاً لحلمه .

أوَتعرفون كيف تُصرف اليوم كهولة هذا اللبناني الذي رأيناه يغادر قريته الوادعة في شمالي لبنان ، وهو في مستهل الثانية عشرة من عمره ، لا يحمل من متاع الدنيا الا ذكاءه ونشاطه وشيئاً قليلا من العلم ؟

يقطن لطوف مع زوجته ، وهي حفيدة أليساندري رئيس جمهورية التشيلي سابقاً ، داراً جميلة في جادة مونتين على قاب قوسين من رون بوان بالشانزليزه . وابوابه مفتوحة على مصاريعها لاصدقائه من اللبنانيين والكولومبيين على اختلاف نزعاتهم السياسية ، فقد عرف لطوف كيف يترفع عن المعمعان السياسي ويقف في معزل عن الحزبين المتجابهين في كولومبيا . ولقد اجتمعنا به في العام ١٩٣٩ فاذا هو يحدثنا بلغة فرنسية لا شائبة فيها ويجيد الكلام بلغة شكسبير ، كما كان في كولومبيا يجيد الاسبانية كتابة وخطابة .

ولاسباب شخصية يجب علينا احترامها طلب لطوف في العام ١٩٣٨ الجنسية الكولومبية بعد أن بقي نحو ستين سنة محافظاً على وفائه لمسقط رأسه لبنان . وفي البرقية نفسها التي بعث بها اليه صديقه

الرئيس لوبيز ليعرب له عن اغتباطه بادراجه في عداد رعاياه ابلغه تعيينه اياه مستشاراً لمعتمدية كولومبيا في باريس .

جبرائيل طربيه

هذه بضعة امثلة ذكرتها اتفاقاً ، ولَيُستطاع تعدادُ مثلها الى ما لا نهاية له . ولقد حدثتكم عن كولومبيا ، ولكن حين نطوف العالم من القاهرة الى اوستراليا الى الفيليبين ، ومن الكاب الى بروكلن الى سان فرانسيسكو ، ومن هافانا الى مكسيكو الى بونس ايرس ، في اوروبا وباريس وفي برلين نفسها وفي كل مكان تتوافر لنا الامثلة على قوة نسلنا ، على سنى ذكائه وخصب عمله ، واقدامه ومروءته واندفاعه ، وبكلمة على تعدد مواهبه وفضائله . واذا شئتم دليلاً على ذلك بليغاً ناصعاً قاطعاً ، فاسمعوا قصة حياة جبرائيل طربيه العجيبة :

جبرائيل طربيه ! اسم يُلفظ هنـاك بحماسة تقرب من التعصب ، وباعجاب لا حد له واحترام . وقد يلفظ ايضاً بعاطفـة حسد او غضب ، ولكنه لا يلفظ ابداً بعدم اكتراث . اسم مطبوع باحرف من نار في مصير كولومبيا خـلال العشرين سنة الاخيرة . وهو يصدح كالموسيقى في السماء الهائجة التي تُظل تلك المناطق الاستوائية . انه رمز حمية وشجاعة ، رمز جهاد وظفر ، رمز استقامة وذكاء . فجبرائيل طربيه ليس شارةً ومنهاجاً ورايةً فحسب ، بل هو ايضاً مجموعة اجراءات متقنـة وانتصارات لكولومبيا واحياناً للقارة الاميركانية بأسرها .

ولقد شاء حسن الطالع ان نتعرف اليه لثلاث وعشرين خلت من السنين . ففي ذلك الحين كان عهدنا بالحاضرة الكولومبية حديثاً ، وكان جبرائيل يتعلم فيها الطب . وفي ذلك الحين ايضاً كان ثمـة

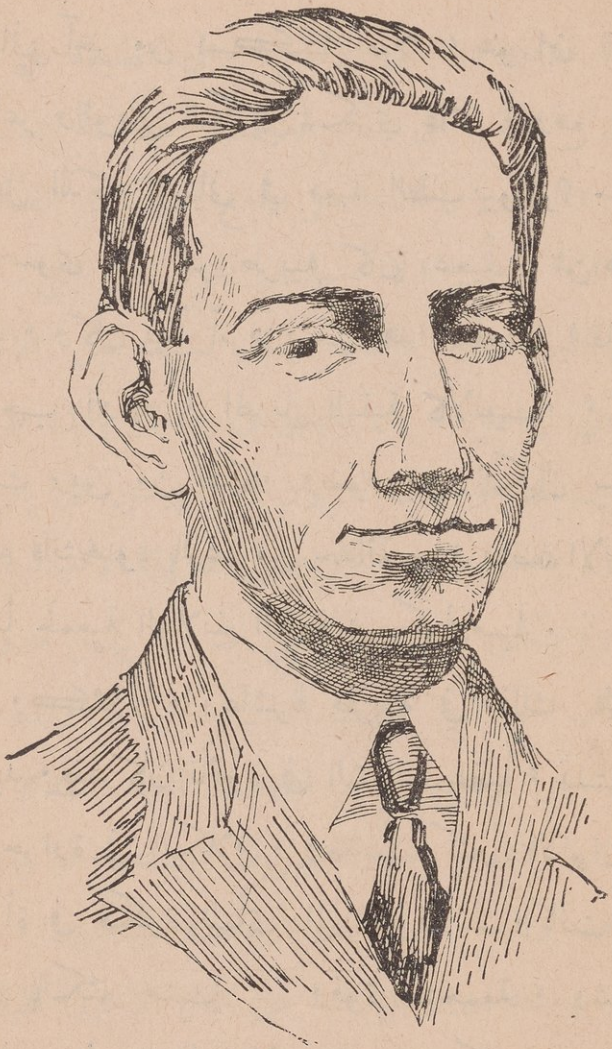

جبرائيل طربيه

لبناني آخر من بسكنتا اصلاً ، هو ابن اخت الشاعر والوطني الكبير شكري غانم ، يرفع عالياً مشعل الذكاء اللبناني في معهد الطب ببوغوتا .

سوى ان امر طربيه كان عَجَباً . فمن هذا الولد ، وكان بعدُ أمرد ، من هذا الحدِث المقلّ ، الشاحب الوجه ، الهزيل البنية كالانبياء ، كان ينبعث بريق من الذكاء وضوء من الكمال سحرا رفاقه فانتخبوه بالرغم من حداثة سنه واصله الاجنبي رئيساً لجمعية الطلّاب العامة في كولومبيا .

وكثيراً ما عاشرنا طربيه في ذلك الزمن البعيد ، فقد كان تأثيره في الشباب عظيماً ، تستهويه فيه حرارة في الكلام ، وحديث كثير الالوان ، وجرأة في فكرة ظمأى الى المعرفة — وكانت قد ألمّت بالكثير منها — وقوة متجمعة ، وشعور متعطش الى العدل الاجتماعي . وكانت روحه

الوثابة تدفعه دائماً الى الامام ، والى الطليعة في كل مكان . اضف الى ذلك معرفة مدهشة بمختلف العلوم والفنون واطلاعاً على جميع الحركات الفكرية في ذلك الزمان ولا سيما حركة لينين التي كان يوجه اليها اهتماماً خاصاً . وكان تشبُّعه من الادب الفرنسي يسمح له بان يتنقل في حديثه باللذة نفسها من تين الى غوستاف له بون ومن بودلير الى باريس (وكان يلفظه بتشديد الراء على الطريقة الاسبانية) .

ولم يكن طربيه يكتفي بأن لا يهمل دروسه بل كان من المع طلاب الطب ، وكان والده — وهو تاجر وضيع اكبر اهتماماً بالعهد القديم من الكتاب المقدس منه بتصريف بضاعته — يقطن الارياف رازحاً تحت عبء عائلته الكبيرة . فلم يكن بوسعه ان يرسل اليه من المال الا نزراً قليلاً ، فكان جبرائيل يضطر الى العمل في المساء ، ليقوم

بنفقات دروسه واقامته بالحاضرة . ورب متسائل : اين ومتى وكيف كان يجد الوقت الكافي لتنمية ثقافته والتوسع بها ؟

ولما انهى دروسه الطبية عاد الى المدينة التي رأى فيها النور . وما عتم الامر ان انتخب نائباً في المجلس الاداري ، فاستهل عهده باعمال باهرة ، شأنه في كل مرّة ، وفرض احترامه دفعة واحدة بفضل ما تحلى به من الجرأة النادرة المثال . فقد وقف موقفاً على جانب كبير من العنف في وجه الزعماء المحليين الذين ما تهيبوا الاضرار بالمصلحة العامة في ما قطعوا لانفسهم من الأقطاع ، وفي وجه التفريط ايا كان ، والمظالم اية كانت ، ولم يستطع ايقافه الوعد ولا الوعيد ، مع ان العادات في اقليم سانتاندر هذا على جانب عظيم من القساوة ، فكثيراً ما يتدخل الرصاص لاسناد برهان

حاسم . على ان طريبه الذي يؤثر هـذا لا يخشى ذاك ، وستبقى الجسارة ، جسارة الفكر والكلام ، والجسارة البدنية ايضاً ، أحدَ الادلة البارزة على قوّة شخصيته . وبفضل هذه الجسارة وجميـع القضايا النبيلة التي حمل لواء الدفاع عنها غزا قلوب الجماهير فهتفت له وتبعته الى النهاية .

طريبه في البرلمان

وبعد قليل اوصله ناخبوه الى البرلمان . ومنذ ذلك الوقت بدأت اشد مراحل حياتـه السياسية اضطرابا وحماسة ، بل كانت مرحلة حاسمة في حياته السياسية هـذه . فقد كان حزب المحـافظين الكولومبيين مستوليا على زمام السلطة منذ ثمـان واربعين سنة ولا يبدو عليه اي استعداد للتخلي عنها . وكان قابضا على زمام الادارة والقوة المسلحة ويتمتع بافضلية المركز المكتسب وبتأييد فعلي من

جانب الاكليروس القوي الشكيمة في الاقاليم . وفي السياسة يقرض الوقتُ واقلُّ ما يبذل من الجهد اجنحةَ الخيال الجميل الذي يبهر عيون الناخبين . وممارسةُ السلطة حين تستمر بدون مخاطر كثيرة تفسد اجملَ المناهج ... فقد كان ثمة تفريط لا شك فيه . وكان مشروع تطهير النظام الانتخابي يحتل من برنامج حزب الاحرار احسن مكان بين الاصلاحات الضرورية المتعددة .

كان الجنرال رانيفو المخيف وزير الحربية الملقب بـ « النمر الكولومبي » الرجلَ الذي استهدفه طربيه في هجومه العنيف . وقد بقي البرلمان اسابيع بل اشهراً تدوّي فيه نقمةُ الفاظه الصوانية . واذا برانيفو يتداعى تحت وطأة ما تناوله به من الضرب ويتداعى معه النظام على بكرة ابيه ، وينقلب الرأي العام بطناً لظهر ، ويهب الشعب والطلّاب الى

تظاهرة شعبية اقيمت لجبرائيل طربيه في احدى المناسبات امام « الكوبول »
وهي البنـــاية التي يجتمع فيها برلمان الامة في بوغوتا عاصمة كولومبيا

التظاهر امام القصر الرئيسي ، فتحاول الشرطة تفريقهم ولكنها تضطر الى اطلاق النار ، فيسقط قتيل ويبلغ الهيجان الفكري حدّه بحيث يقضى نهائياً على حزب المحافظين .

واذ يحين موعد الانتخابات الرئيسية يعمد حزب الاحرار للمرة الاولى منذ ما يقرب من خمسين سنة ، الى ابراز مرشحه بنصيب وافر من النجاح . وبدل ان يستريح طربيه على ما جناه من اكاليل الغار يضاعف نشاطه فيخف الى الاقاليم يقوم فيها بالحملة الانتخابية . واذا هو في كل مكان من تلك البلاد المفتقرة الى طرق المواصلات والبالغة مساحتها مليوناً ومئتين وخمسين الف كيلومتر مربع (اي ما يوازي مساحة فرنسا مرتين ونصف مرّة) . فقد كان يُرى في كل مكان ، في الشمال والجنوب ،

في جبال الاند وعلى الساحل الاطلنطي او الهادىء ، يرافقه احياناً السيد الفونسو لوبيز الذي انتخب مرتين رئيساً للجمهورية ، والسيد ادواردو سانتوس ، مدير جريدة من اكبر جرايد اميركا الجنوبية ، او سواهما من الزعماء ، وكان من نتيجة هذه الحملة الباهرة التي بذل فيها طربيه من نفسه بدون حساب ان استولى حزب الاحرار على زمام السلطة في كولومبيا بعد انتظار طال تسعاً واربعين سنة ، ولم يكن لطربيه — روح هذا الحزب وقائده الى النصر — الا ثمان وعشرون من العمر .

ولكي ندرك كل ما انطوى عليه هذا النصر من المغزى ونقيس مدى اهميته لا بد لنا ان نعرف انه ليس في كولومبيا الا حزبان سياسيان هما الاحرار والمحافظون الذين ما كفوا مرّة عن التطاحن لاجل السلطة . ففي تلك المناطق الاستوائية نرى

الشمس التي تحرق الاجساد تضرم في الارواح ناراً آكلةً لاهواء لا عهد لبقاعنا الهادئة بمثل عنفها . فلم تكن تجري مرة انتخابات شعبية الا يجري الدم غزيرا . وحين كان الحزب القابض على زمام السلطة يخسر المعركة الانتخابية كان يأبى التخلي عن مكانه فتنطلق حينئذ الحرب الاهلية بكل هولها ، وتستمر احياناً سنوات فتخرّب البلاد على بكرة ابيها لا تبقي على شيوخ ولا على فتيان ، حتى ان النساء انفسهن كن ينجرفن بالزوبعة فيُرغمن على التحزّب لهذه او لتلك من الصوفيتين اللتين كانتا تشطران البلاد كتلتين متراصتين . وهكذا تمكنت الحملة البرلمانية الرائعة التي استطاع طربيه ان يخلع عليها ذلك اللمعان بتلك المساهمة الثمينة التي اداها في انتخابات ١٩٣٠ ، لقد تمكنت تلك الحملة الانتخابية من تمزيق الاقنعة وتعرية نقائص

النظام المضاد واظهار بثوره ، ومن شقّ اتلامٍ في اديم المجاري الفكرية كانت من العمق بحيث ابادت قوة المقاومة في خصومها وفسحت السبيل لتحقيق ذلك الامر الغريب وهو انتقال السلطة من نظام الى آخر بدون اهراق نقطة دم ، أي انها وفّرت على كولومبيا حرباً اهلية .

ويجمل بنا هنا ان ننوّه بوطنية الدكتور ابادیا ماندز ، آخر الرؤساء المحافظين لجمهورية كولومبيا ومن أشرف الضمائر وابرع علماء القانون . فتجاه النتيجة المعاكسة التي اسفرت عنها الانتخابات الرئيسية للعام ١٩٣٠ لم يتردد في التخلي عن السلطة لخصومه السياسيين بدون أن يظهر اية رغبة في المقاومة ، قاطعاً بذلك حبل العادات المستحكمة في الطبائع السياسية بمعظم جمهوريات اميركا اللاتينية . وهذا المسلك الوطني كثيراً ما اخذه عليه فيما بعد

بعض المتطرفين من حزب المحافظين .

سوى ان الشعب الكولومبي المتمسك ذلك التمسك العظيم بمعتقداته ، الدائم التحفز لبذل اعظم تضحية لاجلها ، أبعد من ان يكون شعباً متأخراً متعصباً لا روحانية له ولا ماض . بل هو على نقيض ذلك تماماً ، يدرج في القارة الاميركانية في عداد احق الشعوب في التفاخر بتقاليده وثقافته العالية . وهو قبل كل شيء جدير بالاحترام والاجلال لاكتسابه استقلاله بعد جهاد باسل دام عدة سنوات . اما تاريخه وان يكن حديثاً فهو زاخر بالخالدين من صفوة الابطال . وفي ايامنا هذه تفاخر كولومبيا بمجموعة من النوابغ في جميع الميادين ، من رجال القانون ، والمثقفين ، والشعراء ، والسياسيين من الطبقة الدولية . ولم تلقب حاضرتها عبثا بـ « اثينا اميركا الجنوبية » .

ذلك هو الوسط الذي تمكن فيه طربيه من شق طريق له وبسط نفوذه . وفي هذا دليل ناصع على خاصية انتصاره واهميته وعلى مقدار ما كان حقيقاً به شرف تعيينه ، بعد قليل ، زعيماً اوحد لحزب الاحرار . ففي خلال ثمانين سنة لم يتمكن قبله الا ثلاثة من كبار المواطنين كانوا يتمتعون بشهرة عمَّت القارة الاميركانية من احتلال هذا المركز الخطير على رأس حزب يشتمل على نحو من ستة ملايين كولومبي ، اي على ثلثي الامة .

وبانتصار حزب الاحرار انتهى ذلك الدور الهائج المحموم الذي مثله جبرائيل طربيه في اثناء تزعمه حركة المعارضة ، وبدأت حياته الجديدة كديبلوماسي ورجل دولة . فقد عُمد امس الى الهدم بسرعة ونشاط ويجب ان يُعمَد الآن الى البناء . وفي هذه المهمة الجديدة بدا طربيه في مستوى

نفسه ، مجيداً في كل شيء وأنّى كان .

المعتمد السباسي

عيّن وزيراً مطلق الصلاحيـة في بروكسل ، عاصمة بلجيكا ، فصرف فيها سنتين واكتسب عطف الملك الفارس البر الاول فكان يدعوه تودّداً « وزيري الصغير » وقلده وسام ليوبولد ، وهو ارفع وسام بلجيكي . ولدى عودته الى كولومبيـا انتخب عضواً في مجلس الشيوخ . وكانت الزعامة ما تزال له ، يتبعه الناس بحماسة ويصغون اليـه باحترام . وكانت اقامته باوروبا قد انضجته ، فخُطَبُهُ في مجلس الشيوخ قطـع من متخيّر الكلام المؤوّن بالاتزان وسلامة التفكير . على انه اضطر مرة واحدة الى سلوك الحدّه حين هبَّ للدفاع عن الحكومـة ضد الهجمات العنيفة الجائرة التي كان يوجهها اليها زعيم حزب المحافظين ، وهو خطيبٌ هَجُومٌ مثله ، ومن

اقدر خطباء اميركا اللاتينية . واذ احرز فوزاً رائعاً دعاه رئيس الدولة الى تشكيل الوزارة ، وكان في الواحدة والثلاثين من عمره .

طريبه على رأس الحكومة

وعلى رأس الحكومة قطع طريبه الدليل على خلق ابداعي جريء وقويّ بقدر ما هو اداري رشيد ذو دراية واتزان . وقد يكون أهم الاصلاحات المتعددة التي قام بها سَنُّه قانون الاحوال الشخصية الذي ساهم مساهمة كبرى في تطهير النظام الانتخابي .

وكان النزاع المسلح الذي نشب بين كولومبيا والبيرو قد انتهى بفضل توسط جامعة الامم فعيّن طريبه وزيراً مطلق الصلاحية ومندوباً فوق العادة في ليما ، حاضرة البيرو . وما هي الا اشهر قليلة حتى تمكن من توطيد التفاهم والصداقة بين البلدين .

وعـاد الى بوغوتا فتـولى بنفسه وزارة الشؤون الخارجية وادخل عليها اصلاحات جوهرية في جملتها انشاء السلك الديبلوماسي وتوطيده . وبعـد قليل سافر الى نيويورك للترويح عن نفسه ففوجىء هناك بتعيينه وزيراً مفوضاً لدى الحكومة الايطاليـة ورئيساً للوفد الكولومبي في جامعة الامم . وكانت هذه المهمة المزدوجة على جانب كبير من الدقة اذ كانت جامعـة الامم تتناقش في قضيـة تطبيق العقوبات بحق ايطاليا — تلك العقوبات التي كانت كولومبيا في مقدمة من وقعها .

على رأس مجلس الشيوخ

سوى ان نزاعاً كان يهـدد بالنشوب في قلب حزب الاحرار ، فدعي طربيه بالحـاح للعودة في الحال الى كولومبيا ، فغادر روما وجنيف ... وربما لم يَخلُ تركه هاتين الحاضرتين من الاسف . وقـد

فسحت عودته السبيل الى القيام بمظاهرات رائعة ، فقبل ان تلمس باخرته الارض الكولومبية انتخب رئيساً لمجلس الشيوخ وزعيماً اوحد لحزب الاحرار . وفيما اللجان تتألف في كل مكان لاستقباله توجه هو رأساً الى الناحية الريفية الصغيرة التي ما برح يعيش فيها عيشته الهادئة الوادعة ذلك الشيخُ الجليل الذي يحمل اسمه وتلك اللبنانيـةُ الكريمة التي لا تستطيع كل مظاهر التكريم ان تعوض في نظرها عن بعاد ابنها الحبيب . ولكن حزبه كان يطلبه ، واصدقاؤه ينتظرونه ، والولائم تنظم للاحتفاء به . فهو ولا شك المـع رجل سياسي في البـلاد ، والانظار تتحول اليه بشأن رئاسة الجمهورية . ولكنه ما يزال دون السن ، فهو قادر عـلى الانتظار . فثمة من خدم الحزب والبلاد قبله بزمن طويل فمن العدل ان يكرَّموا في الاول ، فدفع مرشحه السيد

ادواردو سانتوس (السياسي الخطير الذي زار بلادنا في العام ١٩٣٢) واخذ بيده الى النصر بالرغم من المعارضة المكشوفة التي ابدتها الحكومة . ولكن الاكثرية الكبرى من الكولومبيين اعربت عن ارتياحها الى هذا النصر . ثم رفض رئاسة الوزارة التي عرضها عليه رئيس الدولة ليتمكن من الانصراف الى الاهتمام بحزبه .

الرجل الصالح

وفي هذا ايضاً نلمس سيماء بارزة من وجهه الادبي . فجبرائيل طربيه ، الرجل الصالح المستقيم ، يجمع الى انصافه في السياسة تجرداً مطلقاً . غِبطتُه في ما يقوم به من الخدم ، وفخرُه في نصر ما يؤمن به من الافكار . وفوق كل شيء مصلحة الوطن .

وهو الى ذلك سليم القلب ، متسامح ، كريم ،

لا يعرف الهوس سبيلاً اليه . ولكم رؤي مقبلاً على حماية خصم سياسي من غضب الجماهير . وفي اثناء حملته العنيفة على حكومة المحافظين توجهت راهبات الحكمة الفرنسيات اليه ، الى هذا الرجل اليساري ، هذا الديمقراطي الاشتراكي ، لاجل الحصول على اعانات رسمية لما تقن به من اعمال الاحسان الى الصم البكم .

السفير في واشنطن

وفي حين كان طربيه يقضي فرصه في الخارج عين سفيراً في واشنطن . وليس لدينا تفاصيل وافية عن هذه المهمة التي استمرت ثلاث سنوات وانتهت في شهر ايلول المنصرم (١٩٤٢) ووسمت حياته الديبلوماسية بارتقاء جديد اذ جنت ثمارها كولومبيا كما جنتها الولايات المتحدة وقضية الحلفاء . (فبعد برل هربور كانت كولومبيا في طليعة الجمهوريات

الاميركانية التي اعلنت الحرب على اليابان .)
ويكفينا ان نشير الى انه تمكن من الاهتداء الى حل مرض لقضية ديون كولومبيا لجمهورية الولايات المتحدة بعد ان بقيت هذه القضية معلقة مدة عشر سنوات .

ولكي نكوّن لنا فكرة عن النتائج الطيبة التي أسفرت عنها مهمة طربيه في الميدان الدولي والمهمة التي عهد بها اليه في رئاسته الوفد الكولومبي بمؤتمر الجامعة الاميركانية الذي عقد في ريو دي جانيرو — هذا المؤتمر الذي مثّل فيه دوراً خطيراً في قطع العلاقات الديبلوماسية بين اميركا اللاتينية والمحور — يكفينا ان نذكر الكلمات التي لفظها السيد كوردل هول في خطاب الوداع الذي وجهه الى السفير الشاب وهي : « لا اذكر ان ديبلوماسياً اجنبياً اثر في السلك الديبلوماسي بواشنطن مثل هذا التأثير

العميق الذي احدثه السيد طربيه . »

فهل بالامكان ان نتصوّر اجمل من هذا الاطراء يخرج من فم رجل يجمع بين الاتزان والتحفظ كأمين سر الدولة الاميركاني الجزيل الاحترام ؟

وربّ متسائل : لماذا ترك طربيه سفارة واشنطن مع انه كان يمارس فيها تأثيراً كبيراً في السلك الديبلوماسي لاميركا اللاتينية ، وكان نشاطه في سبيل الامم المتحدة مدار اعجاب الجميع ؟

— كان شطر كبير من حزب الاحرار قد اعلن ترشيح طربيه للانتخابات الرئيسية للعام ١٩٤٢ ، سوى ان الجناح الايسر من هذا الحزب لم يكن نسي الهزيمة التي انزلها به في العام ١٩٣٨ ، فاغتنم فرصة غيابه عن البلاد ما يقرب من ثلاث سنوات وراح يداور لاجل ترشيح الرئيس السابق لوبيز

للمرة الثانية . وكان كل من الطرفين المتجابهين شديد التصلب في موقفه بحيث خشي طربيه أن يصدر عن هذا الخلاف عواقب مشؤومة وان يكلف الاحرار ضياع السلطة من يدهم ، فجاء الى بوغوتا وراح يحث على الاتحاد . ولكي يتم له ذلك عمد الى التضحية بمصلحته الخاصة — وبذلك التجرد النبيل وذلك الزهد بالنفس اللذين لزماه في كل حين — فأبى اعلان ترشيحه ما دام ثمة شقاق في الحزب . وهكذا فسح للرئيس لوبيز ، الذي بقي وحده في الساحة ، السبيل الى جني فوز سهل . ولم يكتف بذلك بل اراد ان يعطي المثل توصلاً الى الاتحاد المنشود فقبل التعاون مع الحكومة الجديدة رافضاً تولي رئاسة الوزارة خشية ان يفضي به اختلاف الاساليب بل المبادىء الى الاصطدام بزملائه في السياسة الداخلية ، ولكنه تولى زمام

الشؤون الخارجيَّة اذ يستطيع فيها مواصلة المهمة الطيّبة التي قام بها في واشنطن وهي تحقيق الاتحاد بين اجزاء القارة الاميركانية وجمع قواها ووسائلها لاجل الكفاح في ميدان الحرية .

هذا هو الرجل الذي يحق لكل لبناني ان يلفظ اسمه بفخر . هذا هو جبرائيل طربيه ، مجدُ كولومبيا التي انفتحت فيها عيْناء للنور ، وشرف لبنان الذي تأصلت فيه جذوره .

الى الشباب

اما العبرة التي تستخلص من حياة جبرائيل طربيه الذي يرجع الفضل اليه وحده في ما حصَّله من مراتب الرفعة والسيادة ، في ارض ليست بأرض آبائه ، بما بذل من الجهود المتواصلة ، وبفضل تصلُّبٍ في الرأي وجرأة نادرة المثال — أما العبرة هذه فما يشرف الذكاء اللبناني . انها اروع مثال

من منـــاظر الريف في بوغوتا

لما تستطيعه الروح اللبنانيَّة ليس في دائرة تجمع بين الخمول والجشع والمادية السمجة الغليظة ، تستنفد الهمم وتستولي على الارادة ، وفيها يتكاتف الحسد والمزاعم والاهواء لهدم المقاصد الحسنة بمعولها الحاد ، يُستعبد المثل الاعلى وتسود الاثرة ومحبة الذات — بل في اجواء تحتلها القيم الوطنيَّة والروحيَّة والخلقيَّة ، وتُستنشق فيها الحرية الصحيحة والعمران الادبي وكل ما يجمِّل الحياة ويشرِّفها .

فيَا ناشئة بلادي ، يا كنزها واملها ، ان في حيَاة جبرائيل طربيه عِبَراً لك ما اكثرها واخصبها . فكوّني لنفسك قبل كل شيء مثلاً اعلى وتعهَّديه بشجاعة وكَلَف ، بكل ما فيك من قوة الروح والقلب . احترمي نفسك واعتصمي بالإباء واخرجي من المبتذل الدنيء . حطِّمي القشرة المادية التي

تضغط على بـلادك ككلابة من الفولاذ . ضعي الروح في مستواه الصحيح ولتفرض كرامتـك الاحترام فرضاً . التزمي الصراحة والجرأة ولا تخشي من ابداء رأيك . ارفعي رايتك عالية على جبينك وشارتك على قلبك . اجتنبي التردد الذي يشوّش ، وليكن نظرك مستقيماً صريحاً ، نظر الذين لا يخدعون ويستحيل معهم سلوك المواربة والمكر . كوني دائماً وفيَّة لبـلادك ، لماضيها ، لصداقاتهـا ولنفسك . واذ تحين الساعة أبعدي اولئك الاشخاص الارديا الساقطين الذين بدل أن يحافظوا على المصلحة العامة التي عهد اليهم بالدفاع عنها راحوا يتاجرون بها . وفي هذه الآونة العصيبة من تاريخنا لا تمنحي ثقتك الا للذين لا هدف لهم الا الخير العام ، ولا همَّ لهم الا الرقي ، ولا امنيَّة الا عظمة الوطن . وهكذا تذوقين طعم الارتياح الجزيل الى كونك

افدت بلادك وقمت بواجبك نحو المجموع ، هذه العائلة الكبرى التي ينطوي قلبك على آمالها ويتأهب في حيويتك مصيرها .

وفيما أنا اختم حديثي هذا اتوجه بعاطفتي الى تلك الارض الكولومبية الجميلة التي اختارها الوف من السوريين واللبنانيين وطناً ثانياً لهم ، الى تلك الارض التي يكافحون فيها ويشقون وينتصرون ، يذوقون الحب والالم ، ويلمسون غبطة النجاح ووفاء الصداقات . واننا لنتوجه بالمحبة والاعجاب الى ذلك الشعب الكولومبي النبيل ذي الفضائل الوطنيّة الجميلة ، الفخور بابنائه عن حق والضنين بحرياته عن صواب ، ولكنّ عظمة روحه تنحني امام الجدارة من حيثما جاءت وترفعها الى اعلى المراتب ان كان في ذلك مصلحة الوطن العليا .

طريبه في صحف كولومبيا

تناولت الصحف الكولومبية باسهاب وصف حفلة الاستقبال الكبرى التي اقامتها بوغوتا تكريماً لجبرائيل طريبه لدى عودته من واشنطن في الثالث من تشرين الاول الفائت (١٩٤٢) . ومما قالتــه الصحف في هذا الصدد تتكوّن لنا فكرة عن المكانة السامية التي يحتلها ابن بسكنتا هذا في حياة كولومبيا السياسية . واليكم ما قالته جريدة « التيامبو » بتاريخ ٤ من تشرين الاول ١٩٤٢ :

« كان في المطار الذي يبعد نحواً من عشرة كيلومترات عن المدينة جمهور غفير اقبل في عدة مئات من السيارات العامة والخاصة ويتألف من الممثل الخاص للرئيس لوبيز ، والوزراء ، ورجال السلك الديبلوماسي ، واعضاء حزب الاحرار البرلمانيين بكاملهم ، والمحافظ والمختار واميني سرهما ، واعضاء المجلس

البلدي ، وممثلي المصارف والتجارة والصناعة ومئة منظمة نقابية وجمع كبير من الاصدقاء السياسيين والشخصيين للدكتور طربيه ، جاؤوا جميعاً للترحيب به فشكلوا مظاهرة فرح وطني وايمان ديموقراطي بمناسبة عودة الكولومبي الذائع الشهرة الذي اقترن اسمه بامجد ايام « الاحرار » واحسن اجراءات النظام . »

واردفت الجريدة قائلة انه بعد ان اجتاز الموكب قسما كبيراً من المدينة توقف في « بارك سانتاندر » وهناك لفظ الدكتور ارياغا اندرادي ، الخطيب الذي عينه حزب الاحرار ، خطبة قال فيها :

« لا تنتظروا مني ، ايها السادة ، ان اسرد لكم ترجمة حياة جبرائيل طربيه . فتراجم الرجال تأتي عادة على حياة انتهت ، اما حياة جبرائيل طربيه فتوشك ، بالرغم من الاعمال الباهرة التي يحق لهذا الشاب العجيب ان يفاخر بها ، ان تصل الى منتصف دائرتها الطالعة ، ويبقى لها ان تخط اهم الاعمال في سجل امجادنا الوطنية . »

وقال ايضاً : « لكي نمهر الحكومة بالقوانين التي تفسح لها السبيل الى مواجهة اعظم القضايا الحاضرة خطراً ، ونعجل الاصلاحات التي ينتظرها الشعب الكولومبي ، ونضع حداً للشقاق الذي يهدد باقلاق الضمائر بتوقيع بنود الكونكورداتو التي وافق عليها الكرسي الرسولي ، ونرجع الايمان بقوة المبادىء البرلمانية الى نفوس الشعب الذي يكاد يفقد هذا الايمان ، ولكي نحول دون تلاعب اعداء النظام الديموقراطي الخارجيين او الداخليين ، المصارحين او المتسترين ، ونضمن سيادة الحزب في ادارة الشؤون الوطنية ، وبكلمة لكي ننقذ الجمهورية ، اننا بحاجة اليك يا جبرائيل طربيه ... »

وذكرت جريدة « التيامبو » ايضاً ان احد الخطباء الذي كُلِّف الكلام باسم نقابات كولومبيا في الحفلة نفسها قال بحق : « لقد عاينّاك في جميع المؤتمرات الدولية التي اشتركت فيها وفي جملتها مؤتمر الجامعة الاميركانية الذي انعقد في الريو وأوتي فيه لذكائك ان ينقذ مبادىء التضامن الاميركاني ،

هذه المبادىء التي تستميت بلدان هذه القارة في الدفاع عنها . فبفضل موقفك احتلت كولومبيا مركزاً سامياً اثار اعجاب الشخصيات التي اشتركت في المؤتمر كما اثار اعجاب العالم باسره . ففي تلك الايام الديبلوماسية الخطيرة لمسنا فيك ، يا جبرائيل طربيه ، عظمة الجمهورية . »

انتهى طبع هذا الكتاب على

مطبعة الكشاف بيروت

في ١٠ ايلول ١٩٤٣

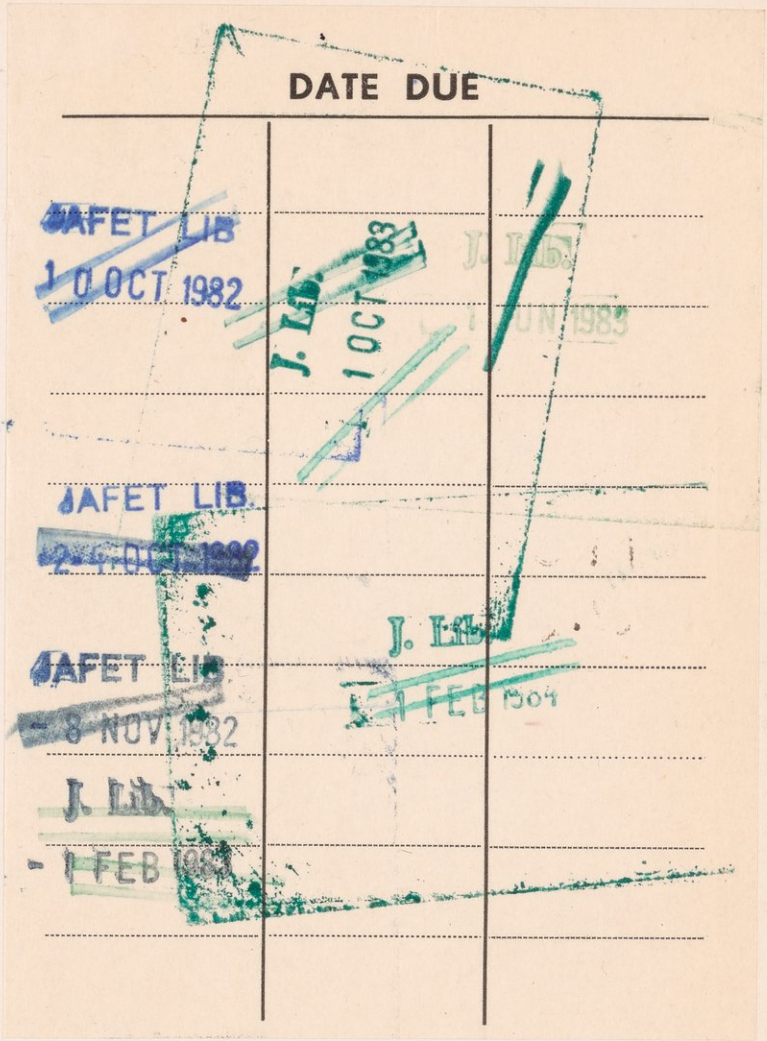
DATE DUE
SAFET LIB
10 OCT 1982
J. LIB.
10 OCT 83
SAFET LIB.
J. LIB
1 FEB 1984
SAFET LIB
8 NOV 1982
J. LIB.
1 FEB 1984

معنق، جورج
لبنان في العالم. اللبنانيون في كولومب
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01014918

325.2569
M 94lA
c.2